آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
مجلة علميّة نصف سنويّة (مقالة علميّة محكّمة)، السنة ٢٣، العدد ١، ربيع و صيف ١٤٤٢ – ١٤٤١ هـ.ق، ١٣١–١٥٣

دراسة مقارنة لمبادئ علم اللغة المعرفية من منظور عبد القاهر الجرجاني

علی‌رضا شعبانلو*

الملخص

كان عبدالقاهر الجرجاني أحد أبرز علماء اللغة والأدب والنحو والبلاغة في القرن الخامس الهجري، وله آراء في البلاغة العربية، وقد لعب دوراً هاماً في تطوير علوم البلاغة الإسلامية. وقدّم أعمالاً مهمة *كدلائل الإعجاز*، وهو يتضمن معاني النحو، و كتاب *أسرار البلاغة* الذى يشتمل على مباحث فى المجاز والتشبيه والتمثيل والاستعارة. لقد صاغ الجرجانى وجهات نظر البلاغيين من قبله، آخذاً بعين الاعتبار السياق والحالات النفسية للمتكلم والمخاطب على شكل بناء نحوي، وقدم منظوراً جديداً أشار إليه باسم «معاني النحو»، يعني التقديم والتأخير والذكر والحذف والقصر والحصر والفصل والوصل والتعريف والتنكير. نظر عبد القاهر إلى اللغة والبلاغة من معظم الزوايا الممكنة، لدرجة أن وجهات نظر اللغويين والفلاسفة الغربيين مثل ريتشاردز وسوسور ومايكل هوليداي وبلومفيلد وتشومسكي وجورج ليكاف وبنيامين لي ويرف وغيرهم، تتسم بشمولية أقلّ مقارنة بوجهات نظره. في هذه المقالة، قمنا بمقارنة وتحليل آراء اللغويين المعرفيين

* أستاذ مساعد في معهد اللغة والآداب بأكاديميّة العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، طهران، ايران، alirezashabanlu@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٩/٠٢/١٢، تاريخ القبول: ١٣٩٩/٠٤/٢٠

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose

مع المنظورات اللغوية لعبد القاهر. يعتبر كل من المعرفيين وعبد القاهر أنّ اللغة من القوى الإدراكية التي لها منشأ تجريبي ونفسي واجتماعي. والنحو يتبع المعنى والمفهوم، ويتأثر معنى اللغة بوجهة نظر الفرد وموقعه ومعرفته وتطبيقها الموضوعي.

الكلمات الرئيسة: عبد القاهر الجرجاني، اللغويات المعرفية، المعنى، المعرفة، النحو.

۱. مقدمة

۱.۱ إشكالية البحث

عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (المتوفى ٤٧٤ ق)، النحوي والفقيه الشافعي والمتكلم الأشعري في القرن الخامس الهجري، المعروف بمؤسس علم البلاغة. يعدّ كلّ من كتابي *أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز* من أهمّ أعمال عبد القاهر في مجال علوم البلاغة مثل علم البيان وعلم المعاني، وقد لعب كلّ منهما دوراً هاماً في تطور علوم البلاغة الإسلامية. انقسم البلاغيون المسلمون قبل عبد القاهر، إلى فريقين في شرح وإثبات إعجاز القرآن: فالفريق الأول كالجاحظ وقدامة بن جعفر والقاضي الجرجاني اعتبر أنّ إعجاز القرآن يكمن في كلمات القرآن وعباراته وأجزائه، و الفريق الثانى مثل أبو عمرو الشيباني وحسن بن بشر آمدي، اعتبر أن الإعجاز يكمن في المعنى. ولكن جمع عبد القاهر وجهات نظر الفريقين في سياق «نسيج» وصبّها في قالب «الهيكل النحوي» وقدّم منظورًا جديدًا قائمًا على النظام النحوي، والذي أشار إليه هو نفسه باسم «معاني النحو». ظلّ نهج عبد القاهر في اللغة جديداً نسبياً حتى يومنا هذا، إلى حد أنه «تعتقد مجموعة كبيرة من الباحثين الأدبيين أنه يمكن العثور على العديد من القواسم المشتركة بين آراء الجرجاني ونظريات علماء النقد الأدبي اليوم في الغرب» (عباس، ۲۰۰۸: ۳۹).

تشتمل نظرية عبد القاهر حول «معاني النحو» على أبعاد وجوانب كثيرة لدرجة أن نظريات اللغويين والفلاسفة الغربيين مثل ريتشاردز وسوسور ومايكل هوليداي وبلومفيلد وتشومسكي وجورج ليكاف وبنيامين لي وارف وغيرهم من أصحاب وجهات النظر

والنظريات اللغوية، تعتبر أحادية البعد مقارنة بنظرته للغة، لأنهم لم يدركوا سوى جزء من قدراتها وخصائصها اللغوية. تم إجراء الكثير من الأبحاث حول تشابه وجهات نظر عبد القاهر مع اللغويين من أتباع مدرسة البنيوية والوظيفية وآراء النقاد الأدبيين الحديثين. لكن لا يوجد بحث يفحص آراء عبد القاهر في اللغويات المعرفية، بينما يوجد هناك العديد من أوجه التشابه بينهما.

النهج المعرفي للغة هو أحدث مدرسة لغويات، ولكن يمكن القول إنه الأكثر شعبية الآن. بدأ هذا النهج في الولايات المتحدة في السبعينيات والثمانينيات وانتشر إلى أوروبا في أواخر الثمانينيات، وسرعان ما انتشر إلى أجزاء كثيرة من العالم في التسعينات. في مقابلة مع رضا نيليبور، ذكر ليكاف أن لانغاكر بدراسته لموضوع «المخططات الذهنية» و«اللغويات المعرفية»، وفوكونييه بتقديمها لنظرية «المساحات الذهنية»، وتالمي بتقديمه لنظرية «المخططات التصويرية» وليكاف نفسه بتقديمه لنظرية «أساس تجسيد التعلم» هم رواد علم اللغة المعرفي (نيلي بور، ٢٠١٥: ٢٢). «اللغويات المعرفية ليست نظرية واحدة، بل هي مزيج من الأفكار الرائدة والمختلفة التي تعمل كحقل منفصل عن الكل، بشكل مترابط لإنشاء نموذج واحد. النقطة المحورية للنموذج بأكمله هي الالتزام المعرفي، أي الاعتقاد بأن هناك وحدة وتفاعل أساسيين بين جميع القوى المعرفية مثل الإدراك والانتباه وتصنيف المقولات وبناء المفاهيم والمعرفة والذاكرة والاستدلال واللغة» (driven& de Mendoza Ibanez, 2010: 14). يأخذ هذا النهج في اللغة بعين الاعتبار التراكيب النحوية القائمة على البناء الذهني ويركز على المعنى، ولا سيما مفهوم التفسير، ويعتقد أن: معنى المعرفة والإدراك البشري ليس مستقلاً، ويتضمن ترميز اللغة عوامل مثل الاختيار، والمنظور، والتركيز، والتأطير، وأساليب تصنيف المقولات، وما إلى ذلك. البنية اللغوية هي انعكاس مباشر للإدراك، أي أن أية عبارة لغوية محددة بطريقة معينة هي موقع محدد ومرتبط (لي، ٢٠١٨: ١١-٨)؛ هذا الرأي مشابه جداً لنظرية النظام لعبد القاهر والتي تنصّ على: أنّ المعنى الذي له كان هذه الكلم بيتَ شعرٍ أو فصلَ خطابٍ، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة، وهذا الحُكْمُ - أعني الاختصاص في الترتيب - يقع في الألفاظ مرتَّباً على المعاني المرتَّبَة في

النفس، المنتظمةِ فيها على قضيّة العقل، ولا يُتّصوَّر في الألفاظ وُجُوبُ تقديم وتأخير، وتخصُّصٍ في ترتيب وتنزيل، وعلى ذلك وُضِعَت المراتبُ والمنازلُ في الجمل المركَّبة، وأقسام الكلام المدَّونة (الجرجانى، ١٤٢٢: ١٤).

إن الانتباه إلى الدور المعرفي للغة وأهمية المعنى، واتباع الهياكل النحوية لهيكل المعنى الذهني والعوامل التي يعتبرها المعرفيون فعالة في ترميز اللغة واضحة في خطاب عبد القاهر. بالنظر إلى أهمية المنظور المعرفي في اللغويات المعاصرة، والذي كان يفضله اللغويون والنقاد الأدبيون بسبب الدعم الفلسفي للتأويل مثل جادامر و هيدجر و ريكور، ومن ناحية أخرى بسبب شمولية ودقة آراء عبد القاهر اللغوية في الأوساط العلمية، فإن مقارنة هذين المنظورين يمكن أن يجعل النقاد والمهتمين باللغويات والنقد الأدبي أكثر دراية بالتراث الثقافي والعلمي للإيرانيين والمسلمين، واستعادة التاريخ القديم للفكر المعرفي في أعمال عبد القاهر. لذلك، سوف نسعى في هذه المقالة إلى بيان القواسم المشتركة بين وجهات النظر الأساسية للغويين المعرفيين وعبد القاهر الجرجاني.

٢.١ سؤال البحث

ما هى القواسم المشتركة بين وجهات النظر الأساسية للغويين المعرفيين و آراء عبد القاهر الجرجاني؟

٣.١ خلفية البحث

مع ظهور المدارس اللغوية في المائة عام الأخيرة وبداية الدراسة العلمية للغة، جذبت آراء عبد القاهر الجرجاني انتباه البلاغيين واللغويين والكتاب. تعرف محمد رشيد رضا بمساعدة الشيخ محمد عبده على أسرار البلاغة عام ١٣١٥ق واستكمل وأكمل أعمال التصحيح التي بدأها الشيخ محمد عبده. بعد الحصول على نص تدقيقي من أسرار البلاغة، بدأ الشيخ محمد عبده تدريسه في جامعة الأزهر في مصر. وهكذا فقد حظيت آراء عبد القاهر بالبحث والدراسة والتحقيق وازدهرت ببحوث أفراد مثل **محمد** عبد الحميد موسى **مندور** في «النقد المنهجي عند العرب»، محمد زكي العَشماوي في كتاب «قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث»،

كمال أبو ديب في كتاب «Al- Jurjani's theory of poetic imagery»؛ وليد محمد مراد في كتاب «نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني»؛ محمد عباس في كتاب «الابعاد الابداعية فى منهج عبد القاهر الجرجانى».

– فوجئ الباحثون عندما وجدوا أن العديد من وجهات النظر اللغوية الجديدة موجودة في أعمال الجرجاني وكلامه، وأن نظرة عبد القاهر للغة كانت أكثر شمولاً من معظم وجهات النظر اللغوية والأدبية الجديدة. بعد ذلك، أجري الكثير من الأبحاث حول عبد القاهر وآرائه اللغوية والبلاغية، بحيث تعتبر هذه البحوث أن عبد القاهر هو أبرز العلماء المسلمين في مجال البلاغة واللغويات وتكشف مكانته العليا أكثر فأكثر. في إيران، تم نشر العديد من المقالات حول التعريف بوجهات نظر عبد القاهر البلاغية واللغوية ومقارنتها بوجهات النظر اللغوية الحديثة بما في ذلك المدارس الشكلية والوظيفية، ومن هذه المقالات يمكن أن نذكر:

– مريم مشرف (٢٠٠٧: ٤٠٣–٤١٦)، في مقالة «النظام والبنية في النظرية البلاغية للجرجاني»، تقارن آراء عبد القاهر في ثلاثة مجالات: اللفظية والنحوية والدلالية، مع آراء فرديناند دوسوسور وناعوم تشومسكي وأتباعهما، أي النقاد البنيويين وأتباع مدرسة النحو التوليدي التحويلي.

– فرهاد ساساني (٢٠٠٨: ٣١٥–٣٢٤)، في مقالة «نظرة على نظرية البناء والمعاني المضافة لعبد القاهر الجرجاني»، يدرس المعاني التي تم الحصول عليها من العلاقات النحوية أو بعبارة أخرى، عرض التقديم والتأخير في في تكوين الكلام.

– حنيف أفخمي ستوده (٢٠١٠: ١٧٤–٢٠٧) في مقالة «الكيان الأدبي»، يقارن آراء عبد القاهر حول النظام والنحو والتقديم والتأخير مع آراء اللغويين أصحاب وجهات النظر وخاصة لامبريكت.

– روح الله هادي وليلا سيد قاسم (٢٠١٣: ١٢٧–١٤٧)، في مقالة «دراسة أوجه التشابه بين نظريات عبد القاهر الجرجاني مع البنيوية والنقد الجديد»، يستعرضان أهم أوجه التشابه بين نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظام وأشخاص مثل جاكوبسون وتشومسكي وريتشاردز في اعتبار اللغة نظاماً للتواصل.

– ليلا سيد قاسم وروح الله هادي (٢٠١٤: ١١١-١٢٩)، في مقالة «دراسة أوجه التشابه بين نظريات عبد القاهر الجرجاني في الممارسة التطبيقية للغة ووظيفية هوليداي»، يقومان بتحليل نظرية النظام لعبد القاهر ودراسة أوجه التشابه بينها وبين فرعي الممارسة التطبيقية ووظيفية هوليداي.

– پروين مزيدي (٢٠١٣: ٥١-٧٢)، «نهج عبد القاهر الجرجاني في البلاغة: مقارنة مع بعض المنظرين الحديثين»، يقارن البلاغة من وجهة نظر عبد القاهر الجرجاني بأفكار كينيث دوفا بورك وميخائيل باختين ويعتقد أنّ «أهمية الجماليات والمعنى في أي نص وكلام والدفاع عن التقليد الجمالي للأعمال الأدبية هي من أهم القواسم المشتركة لأفكار عبد القاهر وبورك وباختين».

– حسين عبد الحسيني (٢٠١٤: ٦٥-٨٤)، في مقالة «التحليل النفسي للكلام القائم على التأويل النحوي لنهج عبد القاهر الجرجاني في فلسفة اللغة في كتاب دلائل الإعجاز»، يحاول تحديد وتفسير وجهة نظر عبد القاهر في علم نفس الراوي من خلال التأويل النحوي.

– راضيه السادات سادات الحسيني وآخرون (٢٠١٦) في مقالة «دراسة وتحليل نظرية عبد القاهر الجرجاني في ضوء النظرية الوظيفية لهوليداي»، يقومون بمقارنة نظرية النظام لعبد القاهر الجرجاني بالنظرية الوظيفية لهوليداي في محاور ثلاثة: ١. النظام والنحو النظامي، ٢. نظرية النظام والسياق، ٣. نظرية النظام والبناء النصي.

– سيد محمد رضا ابن الرسول وآخرون (٢٠١٧: ١٧-٣٥)، في مقالة «دراسة مقارنة لنظرية عبد القاهر الجرجاني في النظام ونظرية سياق الموقف لفارث»، وجدوا أنّ الجرجاني وفارث يوليان اهتمامًا للسياق اللغوي ومفهوم السياق في وجهة نظر الجرجاني يشبه إلى حدّ كبير مفهوم فارت للسياق.

– وقد استعرضت فاطمة أصغري في أطروحة دكتوراه بعنوان «دراسة مقارنة لوجهات نظر عبد القاهر الجرجاني وجورج ليكاف حول الاستعارة المفاهيمية:» (جامعة الفردوسي، ٢٠١٥)، الاختلافات والتشابهات بين وجهات نظر الجرجاني وليكاف حول الاستعارة.

– من بين الأبحاث السابقة، فإن أكثر ما يرتبط بموضوع مقالتنا هو أطروحة فاطمة أصغري حول النهج المعرفي للغة، والتي استعرضت فيها بالطبع القواسم المشتركة بين آراء عبد القاهر وليكاف حول موضوع الاستعارة، لكنها لم تتطرق لمبادئ النظرية اللغوية المعرفية؛ بينما سندرس في هذه المقالة العلاقة بين الآراء الأساسية للغويات المعرفية وآراء عبد القاهر. بما أن اللغويات المعرفية هي أحدث مدرسة لغوية وقد تطورت أكثر في معارضة وجهة نظر تشومسكي الشكلية، فقد استخدمت بعض مبادئ المدارس اللغوية السابقة (بما في ذلك وجهات نظر هوليداي حول السياق) وبعض مبادئ علم النفس الغشتالتية؛ لذلك، ربما تم ذكر بعض مواضيع مقالتنا في مقالات سابقة. ومع ذلك، لم يتم إجراء أي بحث في مجال الدراسة المقارنة بين وجهات نظر اللغويات المعرفية والأفكار اللغوية لعبد القاهر الجرجاني.

٢. القسم التحليلي

يذكر عبد القاهر وجهات نظره اللغوية والبلاغية بعنوان «معاني النحو»، أي التقديم والتأخير والذكر والحذف والقصر والحصر والفصل والوصل والتعريف والتنكير، معتقداً: «أنَّ النّظم كما بَيَّنَّاهُ هو توخّي معاني النحو وأحكامه وفروقه ووجوهه والعمل بقوانينه وأصوله وليست معاني النحو معاني الألفاظ»(الجرجاني، ١٤١٠: ٤٥٢) و«أن ليس النظم شيئاً إلا توخّي النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم» (المرجع نفسه: ٥٢٥). لكن العلماء المعاصرين مثل كمال أبو ظبي ومحمد عباس يفسرون نظرية عبد القاهر كنظرية نظام.

لقد قدمنا بالفعل بإيجاز بعض القواسم المشتركة في نظرية اللغويات المعرفية ونظرية عبد القاهر حول النظام، ومن أجل الإيجاز، سنلخص أولاً وباختصار مبادئ اللغويات المعرفية، ثم نقارنها بآراء عبد القاهر.

يمكن اعتبار الفرضيات الرئيسية الثلاثة بمثابة مقدمة لمنهج لغوي معرفي يتفق فيه جميع المعرفيين على هذه المبادئ:

أ: اللغة مهارة أو قوة إدراكية غير مستقلة؛

ب: النحو هو مفهوم [أي المعنى اللغوي هو الذي يحدد العلاقات النحوية]؛

ج: المعرفة اللغوية هي نتيجة استخدام اللغة (Croft & Cruse, 2005: 1).

سنقارن هذه الفرضيات الرئيسية الثلاث بمعادلات من فكر عبد القاهر:

۱.۲ الفرضية الأولى

اللغة مهارة أو قوة إدراكية غير مستقلة: لهذا الافتراض نتيجتان مهمتان. النتيجة الأولى لهذا الافتراض هي أن تقديم المعرفة اللغوية هو في الأساس مماثل لعرض الهياكل المفاهيمية الأخرى، والعمليات التي يتم فيها استخدام المعرفة لا تختلف اختلافًا جوهريًا عن القدرات المعرفية التي يستخدمها البشر خارج نطاق اللغة. يجادل اللغويون المعرفيون بأن التمثيلات النحوية والصوتية هي أيضًا مفاهيمية بشكل أساسي (كرافت، كروز، ۲۰۱۹: ۱۰-۱۱).

النتيجة الثانية هي أن العمليات المعرفية التي تحكم استخدام اللغة، وخاصة مجال المعنى وانتقاله عن طريق اللغة، هي في الأساس القدرات المعرفية الأخرى نفسها. أي أن القدرات المعرفية التي نستخدمها للتحدث وفهم اللغة لا تختلف عن القدرات التي نستخدمها في المهام المعرفية الأخرى مثل الإدراك البصري أو التفكير أو النشاط الحركي (المرجع نفسه: ۱۱). لهذا الافتراض ميزتان رئيسيتان؛ ۱. اللغة قوة معرفية (إدراكية)؛ ۲. التمثيل النحوي هو أيضًا مفاهيمي بشكل أساسي ويستند إلى عملية الفهم. كلتا ميزتي اللغة هذه يمكن العثور عليهما في أفكار عبد القاهر الجرجاني.

۱.۱.۲ اللغة قوة معرفية (إدراكية)

يعتبر المعرفين اللغة جزءاً من القوى المعرفية البشرية. يقول لانجاكر: «تعد المعرفة اللغوية جزءًا لا يتجزأ من الإدراك البشري، ويجب أن نعتبرها جزءًا من القوى المعرفية وليس كقوة إدراكية مستقلة وجوهرية. حتى لو كانت القوة اللغوية ذاتية ومستقلة، فهي تقع في صميم علم النفس العام، لأنها تمثل تطور وترسخ الهياكل التي ليس لها منشأ محدد. ليس لدينا سبب وجيه للتنبؤ بالاختلاف والازدواجية الواضحة بين القدرة اللغوية والجوانب الأخرى للمعالجة المعرفية» (Langacker, 1987: 13).

لذا فإن تعلم معنى شيء ما ينطوي على موضوع متزايد من جميع الصفات والمفاهيم والتمييزات والذكريات المرتبطة بما حدث من قبل، والتنبؤ بالخبرات المستقبلية المحتملة التي ستتبع ذلك. لا يوجد شيء يحتوي على مفهوم منفصل ومعزول في جوهره. تصبح الأشياء والصفات والأحداث والرموز ذات مغزى بالنسبة لنا بسبب كيفية ارتباطنا بجوانب أخرى من تجربتنا الحقيقية أو المحتملة، لذلك فإن المعنى هو علاقة وأداة. (جانسون، ٢٠١٨: ٣٦٧).

يعتبر عبد القاهر أيضًا اللغة أداة معرفية ويقول في تعريفها: إعلم أنّ الكلام هو الذي يُعطي العلومَ منازلها، ويبيّن مراتبها، ويكشفُ عن صُوَرها، ويجني صنوفَ ثَمَرها، ويدلُّ على سرائرها، ويُبْرِزُ مكنون ضمائرها، وبه أبان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان، ونبّه فيه على عِظَم الامتنان، فقال عزّ من قائل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ، خَلَقَ الإنْسَانَ، عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾... ثم إنّ الوصف الخاصَّ به، والمعنى المثبِتَ لنسبه، أنه يريك المعلومات بأوصافها التي وجدها العلم عليها، ويقرِّر كيفياتها التي تتناولها المعرفةُ إذا سَمَتْ إليها، وإذا كان هذا الوصفُ مقوِّمَ ذاته وأخصَّ صِفاته، كان أشرف أنواعه ما كان فيه أجلى وأظهر، وبه أولى وأجدر (الجرجانى، ١٤٢٢: ١٣).

بالنظر إلى أن عبد القاهر، مثل سوسور، "يميز بين اللغة والكلام، ويعتبر اللغة صالحة من الناحية النظرية ويشير إليها على أنها علم المفردات (علم اللغة)؛ لكنه يعتبر الكلام صالحاً من حيث المقارنة والتطبيق العملي ويصفها بأنها حالة معجمية أو لغوية (عباس، ٢٠٠٨: ٤٢) لذلك عندما يتحدث عن الكلام، فإنه في الواقع يتحدث عن اللغة بشكل عام (سواء من حيث قواعد اللغة والفكر والكلام)، وإشارته إلى الكلام كفصل مميز بين الإنسان والحيوان تؤكد ذلك. يعتبر السمة الجوهرية والخاصة للكلام «عاملاً في الإدراك وأداة للمعرفة» ويقول: القول للتفهيم والتوضيح: «وقد تجد في كلام المتأخرين الآنَ كلاماً حَمَل صاحبَه فرطُ شَغَفِه بأمورٍ ترجع إلى ما له اسم في البديع، إلى أن ينسى أنَّه يتكلم ليُفهِم، ويقول ليُبين» (الجرجاني، ١٤٢٢: ١٧). لذلك، فإنّ أداة الإدراك والمعرفة خاصة بخصائص الكلام وتعبر عن جوهره. و يقول: «وإذا كان هذا الوصفُ مقوِّمَ ذاته وأخصَّ صِفاته، كان أشرف أنواعه ما كان فيه أجلى وأظهر، وبه أولى وأجدر» (المرجع نفسه: ١٣). إن بناء نظرية عبد القاهر

وطريقة البحث في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة مبنية على هذه السمة الذاتية والخاصة لسمات الكلام، وهي «عامل في الإدراك وأداة للمعرفة».

بسبب معرفته بعلوم المنطق والكلام، استخدم عبد القاهر التعريف المنطقي للإنسان لتعريف اللغة وتأثر به. إنه يعتبر اللغة على غرار طريقة المنطقيين وسيلة لتميز الإنسان عن الأنواع الأخرى من الحيوانات. من وجهة نظره، فإنّ الكلام هو نفس قوة النطق وآثاره هي تلك القوة، أي قوة الفكر والتعبير عن الفكر حيث قيل في تعريف الإنسان: الإنسان حيوان ناطق. يلعب تعريف الكلام هذا دورًا مهمًا للغاية ويجعل معناه أوسع نطاقا من عالم الكلمات والمعاني. بهذا التعريف، يضع الجرجاني عدة طبقات في الكلام، والقول هو الطبقة الأكثر سطحية من الكلام، والفكر هو الطبقة الأساسية والأعمق من الكلام. وبعبارة أخرى، عندما يتحدث عن «الكلام»، فإنه يشمل سياقه الأساسي، أي إنشاء المعنى من خلال قوة الفكر والفهم والقياس إلى المرحلة الأخيرة من ظهوره، أي التحدث والكتابة.

بالإضافة إلى ذلك فهو يشرح نظرية النظام ويقول: «إنّ أحد أهمّ الجوانب التحليلية لإنشاء صور خيالية هو تفسيره للقوة أو النشاط الذي ينتج صورًا خيالية». على عكس الافتراضات الأساسية للنظرية الميكانيكية، فإنه لايقسم نشاط الشعر إلى أنواع منفصلة، لكلّ منها مصدر خاص به في قوة متميزة. العقل والذاكرة والوهم والإدراك والعقل والخيال، في رأيه، هي جوانب مترابطة من الكل (الغشتالتية)؛ إنها في الواقع قوة إبداعية تتشكل فيها عناصر التجربة الشعرية من خلال الوجود الخلاق الذي يشكل جزءًا لا يتجزأ من الكل (أبو ديب، ٢٠٠٥: ٢٩٢).

وقد أدى هذا المفهوم لدور الكلام (اللغة)، الذي يتميز بخصوصيته بأنه «عامل للإدراك وأداة للمعرفة»، إلى تقديم نظرية النظام (معاني النحو) التي يمكن قياسها من خلال التمثيل النحوي (عملية التعبير) في اللغويات المعرفية.

٢.١.٢ لتمثيل النحوي هو مفاهيمي بشكل أساسي ويستند إلى عملية الفهم.

صنف كرافت العملية الكاملة للتمثيل النحوي (أو عملية التعبير) والمخططات التصويرية التي ناقشها اللغويون المعرفيون تحت اسم تصنيف جديد. «الغرض الرئيس من هذا التصنيف هو

إظهار العلاقة الوثيقة بين العمليات التعبيرية التي اقترحها اللغويون والعمليات النفسية التي اقترحها علماء النفس وعلماء الظواهر المعرفية. إذا كانت العمليات التعبيرية لدى اللغويين معرفية حقًا، فيجب أن تكون متطابقة مع العمليات المعرفية العامة التي يفترضها علماء النفس وتتصل بها. في الواقع، معظم هذه العمليات التفسيرية (إن لم تكن كلها) هي أنماط محددة من العمليات المعرفية العامة الموصوفة في علم النفس والظواهر. تنتج هذه النظرة عن الفرضية الأساسية للغويات المعرفية، والتي تعتبر اللغة بموجبها مثالًا على القدرات المعرفية العامة. لا يختزل التصنيف العمليات التعبيرية إلى أربع عمليات فقط. تتميز العمليات المختلفة المدرجة أدناه تحت هذه العناوين الأربعة الخاصة بجميع العمليات المعرفية. يتمثل تحليلنا في أن العمليات التفسيرية المختلفة هي مظاهر القدرات المعرفية الأساسية الأربعة من حيث جوانب التجربة المختلفة» (كرافت، ٢٠١٩: ٧٠-٧١). يصف كرافت (٢٠١٩: ٧٢-١١٠) العمليات التعبيرية تحت العناوين العامة الأربعة «الانتباه والحكم والرؤية والبناء»:

أ: الاهتمام/ البروز: النظر إلى الخبرة والدقة في مكونات التجربة ذات الصلة بالغرض الحالي للمتحدث، ثم اختيار تلك المكونات من التجربة والعثور على الكلمة المناسبة للمفهوم الذهني لتلك المكونات. الأمثلة التي يرويها كرافت لهذه العملية هي نفس المجازات والكنايات في البلاغة الفارسية. مثل التطبيق الافتراضي لباريس في جملتين متقابلتين تظهر تسليط الضوء عليها من جوانب مختلفة: أ: باريس تغلق شارع سانت مايكل. ب: باريس تختار مرشح الحزب الأخضر رئيساً للبلدية. في الجملة أ، تم إبراز حكومة باريس، وفي الجملة ب، شعب باريس.

ب: الحكم/ المقارنة: عملية الحكم هي عملية معرفية أساسية وتشمل التصنيف والاستعارة وطريقة ترتيب الشكل. يتضمن إجراء التصنيف مقارنة التجربة المرغوبة بالتجارب السابقة والحكم على أن هذه التجربة تنتمي إلى فئة من التجارب السابقة التي تم استخدام العبارة اللغوية حولها.الاستعارة المعروفة جيدا وترتيب الشكل والخلفية هي أيضاً واحدة من المصطلحات النفسية الغشتالتية. وهذا يعني أنّ «العقل البشري، عندما يواجه كل مشهد، يختار جزءًا كصورة / شخصية والجزء الآخر كخلفية (أرضية) ويوفر معلومات حول المشهد» (شعبانلو، ٢٠١٩: ١-٣٠). في جملة "الكتاب على الطاولة"، الكتاب شكل والطاولة خلفية.

أو عندما يلعب الطفل والقط معًا، يمكننا اختيار الطفل كشكل / دور ونقول أن الطفل يلعب مع القط. هذا هو الحال إذا كان الطفل أقرب إلينا، أي طفلنا، ونحن نحاول معرفة حالة الطفل. ولكن إذا كان لدينا قطة، وكان الطفل غريبًا، فإننا نختار القطة كدور/ شكل ونقول: القطة تلعب مع الطفل. بالطبع، للرؤية/ الموقف دور مهم في اختيار الدور/ الشكل.

ج: الرؤية/الموقف إن موقف الإنسان كفاعل يعني المتحدث أو الكاتب في العالم الذي يؤدي منه هذا الموقف إلى التجربة المرغوبة. ينظر اللغويون الإدراكيون إلى الرؤية على أنها وجهة نظر تستند إلى المعرفة والإيمان والمواقف المستمدة من الظرفية المكانية، ويعتقدون أن أقرب ميزة معرفية إلى الرؤية تُرى بالمعنى الفلسفي لمكاننا في العالم، حيث يجب أن يتم تفسير المكان على نطاق واسع ليشمل السياقات الزمنية والمعرفية والثقافية وكذلك المكانية. هذا التفسير الواسع للمكان يتماشى بالتأكيد مع ما يقوله هايدجر: «الوجود في العالم» قريب. بالنسبة لهايدجر، «الوجود في العالم» لا يعني ببساطة إنشاء الفضاء ودمج الإنسان في الفضاء والمكان؛ الموقف هو مبدأ أساسي في جميع جوانب الوجود البشري. أي أننا دائمًا في وضع يمكننا من رؤية كل شيء وفهمه وتفسيره من هذا المنظور (Croft & Cruse 2005:58-59). على سبيل المثال، عندما يوصف شخص يتسلق سلمًا، إذا كان المتحدث في الأعلى فسيقول: إنه آتٍ إلى الأعلى. أما إذا كان المتحدث في أسفل الدرج فسوف يقول: إنه ذاهب إلى الأعلى.

ت: البناء/ الغشتالتية تصف كيف يتم بناء مفهوم هيكل الوجود نفسه في المشهد. تتضمن هذه العملية التعبيرية توفير أبسط مستوى من تكوين الخبرة وإعطائها هيكلًا أو غشتلت، وهو ما يطلق عليه تالمي المخطط الهيكلي. على سبيل المثال، زيد وعمرو يحاربان بعضهما البعض، الشخص الذي يبلغ عن هذا المشهد قد ينظر إلى الحادث من منظور أن زيد يهزم عمرو وسيقتله حقاً قريباً. لذلك يقول: زيد قتل عمرو وربما يقوم شخص آخر بتصميم المشهد بطريقة مختلفة ويقول: أصاب زيد عمرو بجروح بالغة. أو أن زيداً يقتل عمرو

نتيجة تعريف كرافت لهذه العمليات الأربع هو أنه «في رؤية المشهد، ما نراه حقًا يعتمد بالضبط على كيفية تقييمه، وما نختار رؤيته، والعناصر التي نولي اهتمامًا أكبر لها،

والموقف الذي نلقي منه نظرة عليها. التسميات المقابلة التي أستخدمها [لانجاكر] لمجموعة واسعة من الظواهر التفسيرية تشمل الصراحة ومركز الاهتمام والشهرة والرأي» (لانجاكر، ٢٠١٨: ١٠١).

يقول عبد القاهر: «والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلَّف ضرباً خاصّاً من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجه دونِ وجهٍ من التركيب والترتيب،... وفي ثبوت هذا الأصل ما تَعْلم به أنّ المعنى الذي له كان هذه الكلم بيتَ شعرٍ أو فصلَ خطابٍ، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة، وهذا الحُكْمُ – أعني الاختصاص في الترتيب – يقع في الألفاظ مرتَّباً على المعاني المرتَّبَة في النفس، المنتظمةِ فيها على قضيّة العقل، ولا يُتّصوَّر في الألفاظ وُجُوبُ تقديم وتأخير، وتخصُّصٍ في ترتيب وتنزيل، وعلى ذلك وُضِعَت المراتبُ والمنازلُ في الجمل المركَّبة وأقسام الكلام المدَّونة» (الجرجانى، ١٤٢٢: ١٤). كما يقول فى تعريف النظم: إنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه...وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس فهو إذا نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض. ... ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل (الجرجانى، ١٤١٠: ٤٩-٥٠).

أساس نظرية عبد القاهر هو «أداة معرفية اللغة / عاملية الإدراك» والكلمات الرئيسية لنظريته هي السياق والمعنى والنفس والعقل واتباع بناء المعنى الذهني المرتب. من وجهة نظر عبد القاهر، يفكر المتكلم وفقًا للوضع والسياق ويرتب المعاني في نفسه وقلبه حسب ترتيب العقل ويضع الكلمات الحالية بنفس الترتيب، كما يجب أن يستقبل القارئ والمستمع كلام المتكلم أيضًا. إن تركيز عبد القاهر الكبير على الذهن والعقل يظهر أنه يعتبر معنى الكلام ومفهومه ونظامه الروحي والمعقول هو المبدأ. إنها ميزة الكلام التي تؤدي إلى المعرفة ونقل المعرفة والوعي من شخص إلى آخر. هكذا يشرح عبد القاهر أصالة البناء العقلي للمعنى بطبيعته. لكن ما يكشف هذه الأصالة ويجسد ما حدث في القلب بأمر من العقل، هو نحو اللغة أو

العلاقات بين المعادِلات الصوتية للمعاني. لذلك، يجب أن يتبع الهيكل النحوي البنية الذهنية للمعنى. يتم صياغة وتنظيم المعنى أولاً في القلب والعقل، ثم يصب في شكل الكلمة ويكتسب سمة الوجود المادي. كلما كان الوجود المادي للكلام يعكس وجوده المعنوي كان أكثر بلاغة.

بينما يولي اللغويون المعرفيون الانتباه للدور التجريبي والاجتماعي للغة، يقوم عبد القاهر من خلال تقديم هذا التعريف للغة وعملية الفهم، بتسليط الضوء على الدور الاجتماعي والسياق التجريبي للغة ويؤكد على أهمية السياق والبناء ومعرفة جمهور المتكلم. لا يمكن تجاهل دور الجمهور عندما يتعلق الأمر بسمات لغة العاملية في الإدراك. في هذا القسم، يحتاج إدراك جمهور المتكلم ومعرفته إلى علوم مثل علم الاجتماع وعلم النفس، كما أن تجربة المتكلم تكون ذات أهمية وهي عبارة معرفته الموسوعية. وهكذا، من الواضح أنه بالإضافة إلى النظام الذهني، فإن موقف المتكلم والمستمع (السياق الموقفي والرؤية) مؤثر أيضًا في ترتيب كلمات الجملة. وبعبارة أخرى، يحدث النظام المعنوي فيما يتعلق بجميع الجوانب، بما في ذلك الموقف والسياق.

في تحليله لمثال «قتل الخارجيَّ زيدُ»، يبين عبدالقاهر عمليات الاهتمام أو البروز الأربعة وهي الحكم والرؤية والغشتالت. يقتبس من *الكتاب* لسيبويه وهو يناقش التقديم والتأخير في قوله: «كأنهم يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم بشأنه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم» (المرجع نفسه: ١٠٧) ثم يشرح كلمات سيبويه بكلمات النحويين بقوله: «إنّ معنى ذلك أنه قد تكون أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيث ويفسد ويكثر في الأذى أنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم منه شيء فإذا قتل وأراد مريد الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول قتل الخارجي زيد ولا يقول قتل زيد الخارجي لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد وأنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه» (المرجع نفسه: ١٠٨).

في هذا الخطاب، سلط المتحدث الضوء على المقتول من كل من طرفي مسرح الجريمة، أحدهما كان القاتل والآخر الضحية، وهذا يحدث نتيجة لعملية الاهتمام والحكم. عملية الحكم تحدث عندما يدرك المتكلم احتياجات الجمهور وموقفه في هذا السياق، ويعرف أن الأشخاص في هذا الموقف بالذات لا يسعون إلى تحديد القاتل، لذلك فهو يهتم بالضحية ويختاره دوراً أو شخصية، ثم يختار الرؤية التي يجب أن يعلن من خلالها خبر القتل، فيقول: قَتَلَ الخارجيَّ زيدٌ؛ ولم يقل أنه قَتَلَ زيدٌ الخارجيَّ. يعتمد هذا التحليل لعبد القاهر كليًا على تجربته الحية ومعرفته وفهمه لتوقعات الناس ومعرفته بالبنى اللغوية المناسبة للتعبير عن البناء الدلالي.

٢.٢ الفرضية الثانية (النحو مفاهيمي)

هذا الافتراض هو جانب رئيسي من القدرة الإدراكية البشرية على بناء المفاهيم التجريبية، والتي يجب نقلها في التواصل، وكذلك فهو بناء مفهوم معرفتنا اللغوية (كرافت: ٢٠١٩: ١٢). النحو هو إطار نظري يصف بنية اللغة كمنتج للإدراك والتفاعل الاجتماعي. الفكرة الرئيسية هي أن النظام ذو مغزى (ليس نظامًا صورياً مستقلًا) ولا يمكن وصفه إلا من حيث تأثيره المفاهيمي ودوره في التواصل (لانجاكر، ٢٠١٨ :٧). النحو هو جزء لا يتجزأ من الإدراك ويلعب دورًا رئيسيًا في فهمه. إن المعاني اللغوية التي يتم التفاوض عليها بناءً على التقييم المتبادل للمعرفة والفكر والنية لدى أطراف المحادثة، متجذرة أيضًا في التفاعل الاجتماعي (المرجع نفسه: ١٤). يعتمد الأمر بشكل أساسي على الظواهر الإبداعية والبناء الذهني. النظام ليس ذا معنى فحسب، بل يعكس أيضًا تجربتنا الأساسية في العالم. في قلب المعنى النحوي، هناك عمليات عقلية متأصلة في عناصر الحياة لحظة بلحظة (المرجع نفسه: ١٥-١٦). الأدوار ليست مجرد بناء لغوي، ولكنها جزء من مجموعة من الأدوات المعرفية التي نستخدمها في اللغة وكذلك المعالجة غير اللغوية للذهن. الصور النوعية للدور هي نتيجة تجربتنا للتفاعل مع العالم (أوبحرر، شميت، ٢٠١٨ :٢٣٤).

يعبر اللغويون المعرفيون عن هذه الآراء في نفس العمليات التعبيرية الأربع الموصوفة أعلاه بتفصيل كبير.

على سبيل المثال، "تجعل القواعد النحوية من الممكن تكييف المتغيرات مع العبارات التي تعرض نفس العلاقات النحوية. في حين أن هذه العبارات غالبًا ما ترتبط بتكوين تكيف معين، فإن تصنيفها لا يعتمد على هذا التكوين.

في النهج المستقل للنحو [أي أولئك الذين يعتقدون أن النحو نظام مستقل عن المعنى]، غالبًا ما يُزعَم أن الجمل مثل:

وصل الطرد [الذي كنت أنتظره]. [that I was expecting] The package

بمساعدة القاعدة التي تحرك الاسم الموصول إلى النهاية، يستخرج من عمق بناء مثل

وصلت الطرد [الذي كنت في انتظاره]. [that I was expecting] The package arrived.

لكن قواعد اللغة تقبل الأساس المفاهيمي للعلاقات النحوية وتبني البيانات دون اللجوء إلى الهياكل النظرية المريبة في عمق البناء. لا يتم اشتقاق أية من العبارات أعلاه من الأخرى. وبدلاً من ذلك، فإن هذه العبارات هي طريقتان مختلفتان لتصنيف عناصر المكون نفسه في تحقيق نفس البنية التركيبية (لانجاكر، ٢٠١٨ :٣٤٩-٣٥٣).

كما يعتبر عبد القاهر النحو ذا معنى، ويقدم التركيبات النحوية على أنها تالية للتركيبات الذهنية للمعنى وتعكسها. إنه يحاول تفسير ذلك في دلائل الإعجاز عند التعبير عن الفرق بين الحروف المنظومة والكلمات المنظومة (البنية النحوية)، فيقول: «وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه فلو أن واضع اللغة كان قد قال «ربض» مكان «ضرب» لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس فهو إذا نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض» (الجرجاني، ١٤١٠: ٤٩). «وهو أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها لكان ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر» (المرجع نفسه: ٥١). إنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها فإذا وجب لمعنى أن يكون

أولا في النفس وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق» (المرجع نفسه: ٥٢). «يرتب الفروع على الأصول ويتبع المعنى المعنى ويلحق النظير بالنظير» (المرجع نفسه: ٥٣).

يعتقد عبد القاهر أن كل بناء دلالي يتطلب تركيبه النحوي الخاص به، وأن كل بنية نحوية تعكس بنية دلالية معينة وأن أي تغيير في البنية النحوية يتسبب في تغيير في المعنى. على سبيل المثال، يمكن أن نشير إلى تحليل عبد القاهر للآية ﴿واشتَعَلَ الرَّأسُ شَيباً﴾.

يقول: «وهذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة ولكن لأن سلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء وهو لما هو من سببه فيرفع به ما يسند إليه ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده مبينا أن ذلك الإسناد وتلك النسبة إلى ذلك الأول إنما كان من أجل هذا الثاني... يبين أن الشرف كان لأن سلك فيه هذا المسلك وتوخي به هذا المذهب أن تدع هذا الطريق فيه وتأخذ اللفظ فتسنده إلى الشيب صريحا فتقول اشتعل شيب الرأس والشيب في الرأس ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة وهل ترى الروعة التي كنت تراها» (المرجع نفسه: ١٠٠-١٠١).

لإثبات وجهة نظره، يقارن عبد القاهر هيكل هذه الآية ببنى مماثلة: « ووزان هذا أنك تقول اشتعل البيت نارا فيكون المعنى أن النار قد وقعت فيه وقوع الشمول وأنها قد استولت عليه وأخذت في طرفيه ووسطه وتقول اشتعلت النار في البيت فلا يفيد ذلك بل لا يقتضي أكثر من وقوعها فيه وإصابتها جانبا منه» (المرجع نفسه: ١٠١).

مثال آخر هو كلامه حول الحصر والقصر. يقول: «وأما قولنا المنطلق زيد والفرق بينه وبين زيد المنطلق فالقول في ذلك أنك وإن كنت ترى في الظاهر أنهما سواء من حيث كان الغرض في الحالين إثبات انطلاق قد سبق العلم به لزيد فليس الأمر كذلك بل بين الكلامين فصل ظاهر وبيانه أنك إذا قلت زيد المنطلق فأنت في حديث انطلاق قد كان وعرف السامع كونه إلا أنه لم يعلم أمن زيد كان أم من عمرو فإذا قلت زيد المنطلق أزلت عنك الشك وجعلته يقطع وبأنه كان من زيد بعد أن كان يرى ذلك على سبيل الجواز وليس كذلك إذا قدمت المنطلق فقلت المنطلق زيد بل يكون المعنى حينئذ على أنك رأيت إنسانا ينطلق بالبعد منك فلم يثبته ولم تعلم أزيد هو أم عمرو فقال لك صاحبك المنطلق زيد أي هذا الشخص الذي تراه من بعد هو زيد» (المرجع نفسه: ١٨٦).

يشبه خطاب عبد القاهر هنا بحث الدور / الشكل وسياق الغشتالتية، وهي واحد من أسس نظرية اللغويات المعرفية، وقد تحدثنا عنها بالفعل.

بيان عبد القاهر يعني أنه يجب تحديد مبتدأ أو خبر شيء ما على أساس البنية الذهنية للمعنى، والبنية الذهنية للمعنى تتحدد بعوامل مثل السياق واحتياجات الجمهور وتدخل العقل. لذلك، عندما يتم اختيار المعنى في العقل كمبتدأ، فإن معادل كلامه هو أيضًا مبتدأ في أي حال، حتى لو لم يكن في بداية الجملة.

٣.٢ الفرضية الثالثة (المعرفة اللغوية هي نتيجة استخدام اللغة)

أي أن المقولات والبنى في علم الدلالة، وبناء الجملة، والتركيب الصوتي، وعلم الأصوات تتكون من معرفتنا لخطابات محددة حول مواقف معينة من التطبيق (كرافت، ٢٠١٥: ١٣). "تُستخدم الجمل دائمًا في سياق عملي أو لفظي. لذلك، لا يجب مراعاة نية المتحدث فحسب، بل يجب أيضًا أخذ ملاحظات المستمع في السياق بعين الاعتبار"(لوريا، ٢٠١٢: ٢٢٨). يفهم الإنسان المعنى اللغوي بناءً على خبرته البيولوجية والتفاعل مع العالم. يعتقد ليكاف أن العقل البشري لا يعمل بطريقة منطقية، لكن تعلمنا يتشكل في العقل بناءً على تجاربنا الجسدية (نيلي بور، ٢٠١٥ :٢١). على سبيل المثال، معنى كلمة الأحمر في الجملتين "سيارة علي حمراء" و "شعر علي أحمر" مرتبط بمعرفتنا بالعالم ونعلم أن اللون الأحمر في السيارة يختلف عن لون الشعر الأحمر (راسخ مهند، ٢٠١٤ :٢٢). وبهذه الطريقة، يكتسب المعنى الطبيعة التجريبية والنصية (بما في ذلك السياقات الاجتماعية والمادية والمعرفة المتراكمة في ذهن المتحدث أو الجمهور) و «يختفي الحد الفاصل بين علم الدلالة والتأويل» (أفراشي، ٢٠١٦ :٣٣) ويتغير معنى اللغة بسبب التغيير في السياق.

يقول جونسون عن معنى اللوحة الفنية: «إن المعنى الأكثر دقة لهذا العمل هو تنشيط بعض الأنماط العصبية المهمة للكائنات ذات العقول والأجسام مثلنا، والتي تعيش وتعمل في بيئات متنوعة» (جونسون، ٢٠١٨: ٣٢٢).

تعتمد تحليلات عبد القاهر لعمله الشهير أسرار البلاغة ودليل الإعجاز على الاستخدام الموضوعي للغة. إنه يهتم في كل مكان في تحليل خطاب الآيات والجمل والأبيات، بالسياق المكاني للمعنى وحالات المتحدث والمخاطب والتأثير النفسي للكلام والبيئة على المستمع والمتحدث، بالإضافة إلى الهياكل اللغوية المشتركة أو المناسبة للمعنى. إنه يدرك أن اللغة تنتمي للإنسان، ومن خلال ديناميكية الإنسان، تكون اللغة ديناميكية أيضًا، ويكون معنى اللغة والفهم جسديًا وتجريبيًا. لذلك، يتكلم البشر حسب السياق والحالة والخبرة وجميع الظروف العقلية والنفسية للجمهور واحتياجاته، وبلاغة كل خطاب مختلفة حسب المكان. في تعليقه على بلاغة الأبيات التالية

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسِحُ
وشُدَّت على دُهْم المهَارَى رِحَالُنا ولم يَنْظُر الغادي الَّذِي هو رائحُ
أخذْنا بأطراف الأحاديث بَيْنَنا وسَالَتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ

يقول: «... وذلك أن أوّل ما يتلقَّاك من محاسن هذا الشعر أنه قال: " ولما قضينا من مِنًى كلَّ حاجة " فعبّر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فُروضِها وسُنَنِها، من طريقٍ أمكنه أن يُقصِّر معه اللفظ، وهو طريقة العموم، ثم نبّه بقوله: " ومسّح بالأركان من هو ماسحُ " على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر، ودليل المسيرِ الذي هو مقصوده من الشعر، ثم قال: " أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا " فوصل بذكر مسح الأركان، ما وليه من زَمِّ الركاب وركوب الرِّكبان، ثم دلّ بلفظة الأطراف على الصّفة التي يختصّ بها الرِّفاق في السَّفر، من التصرف في فنون القولِ وشجون الحديث، أو ما هو عادة المتظرِّفين، من الإشارة والتلويح والرَّمْز والإيماء، وأنبأ بذلك عن طِيب النفوس، وقُوَّة النشاط، وفَضْلِ الاغتباط، كما تُوجبُه ألفة الأصحاب وأُنسةُ الأحباب، وكما يليق بحال من وُفِّق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حُسن الإياب، وتنسَّمَ روائح الأحبّة والأوطان، واستماع التهاني والتَّحايا من الخُلاَّن والإخوان» (الجرجاني، ١٤٢٢: ٢٦-٢٧).

ترجع ملاحظات عبد القاهر في تفسير هذه الآيات إلى معرفته الموسوعية ومعرفته النفسية واللغوية والاجتماعية والأنثروبولوجية في سياق اجتماعي ومادي معين. يرى أن الشخص

الذي يمكن أن يكون لديه فهم شامل نسبيًا لمعاني هذه الأبيات وخطابها هو الشخص الذي كان حاضراً في زمن نظم القصيدة أو في ظروف مماثلة لتلك الفترة من الحج؛ ويعرف شعائر الحج، ركوب الجمل؛ مشاهدة السلوك والحركة الجماعية للإبل بعناية؛ المعاناة من مرارة الفراق والانفصال عن الأسرة والأحباء وتجربة الأشياء الأخرى التي تحدث عنها عبد القاهر؛ أي أن يكون لديه خبرة الشاعر ومعرفته.

٣. النتائج

من مجموعة خطابات وتحليلات عبد القاهر، يمكن أن نستنتج أنه وقبل اللغوين المعرفيين: ١. اعتبر اللغة واحدة من القوى المعرفية التي تعمل في انسجام مع القوى المعرفية الأخرى. ٢. البناء النحوي متأثر بالبناء الذهني للمعنى. ٣. اعتبر المعنى اللغوي تجريبياً ونتيجة لتطبيقه. بالإضافة إلى ذلك، يعتبر أن عملية التحدث وفهم معنى الكلام لها ثلاث مراحل عامة، وجميع عمليات التعبير التي يقول بها المعرفيون كامنة في هذه المراحل:

المرحلة ١: يحدث شيء نحتاج إلى الإبلاغ عنه. مثل مقتل عمرو على يد زيد وهطول المطر وآلاف الأشياء الأخرى.

المرحلة الثانية: نمو المعنى في الذهن. عند هذه النقطة، تجري عمليات كرافت الثلاث للتفسير: الاهتمام والمقارنة والرؤية في انسجام: أولاً، يفحص المقرر (المتحدث) الحادث بالاعتماد على العقل (الخبرة والموقف والمعرفة اللغوية والمعرفة البيئية والمعرفة الاجتماعية والنفسية وباختصار كل ما يدور في ذهنه)، يختار المعاني المطلوبة ويزيل المعاني غير الضرورية، ثم يعطي الأولوية للمعاني ويحدد ترتيبها، ثم يحدد المعادلات الحرفية للمعاني من بين الكلمات.

المرحلة الثالثة: تلبيس المعنى بالكلام، أو تحويل المعنى إلى كلام. تقابل هذه الخطوة العملية البناءة وجهة نظر كرافت. في هذه المرحلة، من بين البنى النحوية الممكنة، يختار المقرر بنية نحوية مناسبة للتعبير عن المعاني وفي النهاية، يصب المعاني في شكل كلمات ويقرأ الكلمات بناءً على الترتيب والأولوية العقلية للمعنى في الجملة. بالنسبة لكل معنى موجود في الذهن

كمبتدأ، يتم وضع كلمة مقابلة أيضًا في جملة المبتدأ، وكل معنى موجود في موضع الخبر في الذهن، يتم أيضًا وضع كلمة مقابلة له في جملة الخبر.

عندما يسمع الجمهور خطابًا أو يقرأ الشعر والنثر، يعيد الجمهور بناء نفس العملية في أذهانه. أي أنه يتعلم من البناء النحوي للكلام المعنى المقصود للمتكلم.

كما نرى، فإن هذه العملية المستمدة من نظرية النظام (معاني النحو) تشمل جميع مراحل عملية التعبير في النظرية المعرفية.

المصادر والمراجع

العربية

الجرجاني عبدالقاهر (١٤١٠/ ١٩٨٩م)، **دلائل الاعجاز**، قرأه وعلّق عليه أبوفهر محمود محمد شاكر، قاهره: مكتبة الخانجي.

الجرجاني عبدالقاهر (١٤٢٢/ ٢٠٠١م)، **أسرار البلاغة**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

محمد مراد، وليد (١٩٨٣م)، **نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر الجرجاني**، دمشق: دار الفكر.

صحراوي، مسعود (٢٠٠٥م)، **التداولية عند العلماء العرب**؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، بيروت: دارالطليعة.

الفارسية

أبوديب، كمال (١٣٨٤/٢٠٠٥ش). **صور خيال در نظرية جرجانى**، ترجمة فرزان سجودى و فرهاد ساسانى، طهران: مركز مطالعات و تحقيقات هنرى وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامى.

افخمى ستوده، حنيف (١٣٨٩/٢٠١٠ش)، «نهاد ادبى»، مجلة **دستور**، شماره ٦، صص ١٧٤-٢٠٧.

افراشى، آزيتا (١٣٩٥/٢٠١٦ش). **مبانى معناشناسى شناختى**، طهران: پژوهشگاه علوم انسانى و مطالعات فرهنگى.

اونگرر، فريدريش وهانس يورگ اشميت (١٣٩٧/٢٠١٨ش)، **مقدمه‌اى بر زبان‌شناسى شناختى**، ترجمة جهانشاه ميرزا بيگى، طهران: آگه.

جانسون، مارک (۱۳۹۷/۲۰۱۸ش)، **زیبایی‌شناسی فهم**، مترجم: جهانشاه میرزابیگی، تهران: آگاه.

راسخ مهند، محمد (۱۳۹۳/۲۰۱٤ش)، **در آمدی بر زبان‌شناسی شناختی**، چاپ چهارم، طهران: سمت.

سادات الحسینی، راضیة السادات وعیسی متقی زاده وخلیل پروینی وارسلان گلفام (۱۳۹۵/۲۰۱٦ش)، «بررسی و تحلیل نظریة نظم عبدالقاهر جرجانی در پرتو نظریة نقش گرای هلیدی»، مجلة **جستارهای زبانی**، شماره ۳۰، صص ۱۲۳-۱٤۲.

ساسانی، فرهاد (۱۳۸۷/۲۰۰۸ش)، «نگاهی به نظریة ساخت و معانی افزوده عبدالقاهر جرجانی»، مجلة **زیبا شناخت**، سال ۹، شماره ۱۹، صص ۳۱۵-۳۲٤.

سید قاسم، لیلا و روح الله هادی (۱۳۹۳/۲۰۱٤ش)، «بررسی همانندی‌های نظریات عبدالقاهر جرجانی در کاربردشناسی زبان و نقش گرایی هلیدی»، مجلة **ادب پژوهی**، شماره ۲۸، صص۱۱۱-۱۲۹.

ابن الرسول، سید محمد رضا و مرضیه قربان خانی و نصراله شاملی (۱۳۹٦/۲۰۱۷ش)، «مطالعة تطبیقي نظریة نظم عبدالقاهر جرجاني و نظریة بافت موقعیّت فرث»، مجلة **ادب عربی**، شماره ۲، صص ۱۷-۳۵.

سیدقاسم، لیلا و روح الله هادی (۱۳۹۳/۲۰۱٤ش، «بررسی همانندي‌هاي نظریات عبدالقاهر جرجانی در کاربردشناسیِ زبان و نقشگرایی هلیدي»، مجلة **ادب پژوهی**، شمارة ۲۸، صص ۱۱۱-۱۲۹.

شعبانلو، علی رضا (۱۳۹۸/۲۰۱۹ش)، «نقد یکسویگی در نظریه استعاره مفهومی»، **مجلة کهن نامه ادب پارسی**، شماره ۲۹، صص ۱-۳۰.

عباس، محمد (۲۰۰۸/ ۱۳۸۷ش)، **عبدالقاهر جرجانی و دیدگاه‌های نوین در نقد ادبی**، ترجمة مریم مشرف، طهران: چشمه.

عبدالحسینی، حسین (۱۳۹۳/۲۰۱٤ش)، « تحلیل روانشناختی سخنور بر مبنای تأویل نحوی بازخوانی رویکرد عبدالقاهر جرجانی به فلسفهٔ زبان در کتاب دلائل الإعجاز»، مجلة **مطالعات تاریخی قرآن و حدیث**، شماره ۵۵، صص٦۵-۸٤.

کرافت، ویلیام و آلن کروز (۱۳۹۸/۲۰۱۹ش)، **زبان شناسی شناختی**، ترجمة: جهانشاه میرزا بیگی، طهران: آگاه.

لانگاکر، رونالد (۱۳۹۷/۲۰۱۸ش)، **مبانی دستور شناختی**، ترجمة: جهانشاه میرزا بیگی، طهران: آگاه.

لوریا، الکساندر رومانویچ (۱۳۹۱/۲۰۱۲ش). **زبان و شناخت**، ترجمة حبیب الله قاسم زاده، چاپ سوم، طهران: کتاب ارجمند.

لی، دیوید (۱۳۹۷/۲۰۱۸ش)، **زبان شناسی شناختی: یک مقدمه**، ترجمة جهانشاه میرزا بیگی، طهران: آگاه.

مزیدی، پروین (۱۳۹۲/۲۰۱۳ش)، «رویکرد عبدالقاهر جرجانی به بلاغت: مقایسه‌ای با برخی نظریه پردازان مدرن»، مجلة **مطالعات تاریخی قرآن و حدیث**، شماره ٥٤؛ صص٥١-٧٢.

مشرّف، مریم (۱۳۸٦/۲۰۰۷ش)، «نظم و ساختار در نظریه بلاغت جرجانی»، **پژوهشنامه علوم انسانی**، شماره ٥٤، صص٤٠٣-٤١٦.

نیلی‌پور، رضا (۱۳۹٤/۲۰۱٥ش. **زبان شناسی شناختی**، طهران: هرمس.

هادی، روح الله و لیلا سیدقاسم (۱۳۹۲/۲۰۱۳ش)، «بررسی همانندی‌های نظریات عبدالقاهر جرجانی با ساختارگرایی و نقد نو»، مجلة مطالعات بلاغی، شماره هفتم، صص: ۱۲۷-۱٤۷.

الإنجلزية

Croft, William & D. Alan Cruse (2005), **Cognitive Linguistics**. Cambridge University Press. third printing.

Dirven, René & Francisco J Ruiz de Mendoza. (2010). "**Looking back at 30 years of Cognitive Linguistics**". **In "Cognitive Linguistics in Action: From Theory to Application and Back**". Berlin, Germany/New York, NY: Mouton de Gruyter. Pp: 13-70.

Langacker, Ronald (1987). **Foundations of Cognitive Grammar**, Volume 1. Stanford, California: Stanford University Press.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی